



إيبارشة حنود، أممكا للأقباط الأثوذكس الرسالة الشهرية للرهبان والراهبات يونيو ٢٠٢٥ في المغفرة

"البعض لكي ينالوا الصفح عنهم، أسلموا ذواتهم للأتعاب والأعراق. لكن الإنسان الذي ينسى الأخطاء قد تفوق عليهم، إذ قيل «أصفحوا سريعا، فيُصفح عنكم صفحا وافرا جليلا»".
(السلم إلى الله)^١

أخوتي الأحباء، نقرأ في الكتاب المقدس ان ربنا يسوع المسيح قال: «وَمَتَى وَقَفْتُمْ تُصَلُّونَ، فَأَغْفِرُوا إِنْ كَانَ لَكُمْ عَلَى أَحَدٍ شَيْءٌ، لِكَيْ يَغْفِرَ لَكُمْ أَيْضًا أَبُوكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ لِأَنَّكُمْ». (مرقس ١١: ٢٥-٢٦). هذا الكلام خطير جدا، وليس هناك شك ان الله سيحاسبنا عليه. فلنفحص ما هو تعليم الالباء الرهبان الأولين لنا عن المغفرة، لننصت الى كلمات ربنا المباركة.

الانبا اشعيا الاسقيطي يقول التالي عن هذه الآيات:

إنه لمرعب قول الرب هذا: فإذا رأيت قلبك غير نقي نحو الجميع فلا تطلب شيئا من الله إذ أنك بذلك تهينه. لأنك وأنت خاطئ تحمل حقدًا على إنسان مشابه لك، وتقول لفاحص القلوب اغفر لي خطايي. مثل هذا الإنسان لا يصلي بالروح بل بالشفقتين فقط وبجهل، فالذي يريد حقا أن يصلي لله بالروح، أي بالروح القدس، وبقلب نقي فليفحص قلبه قبل أن يصلي لكي يعرف إن كان بغير همّ في قلبه من جهة جميع الناس أم لا، وإلا فهو يخدع نفسه، إذ ليس من سيسمع له، بما أنه لا يصلي بل يتلو فقط صلوات السواحي كما يدافع العبادة. كذلك ينبغي لمن يريد أن يصلي بنقاوة أن يفحص نفسه حتى إذ تقول «اصنع معي رحمة» تكون أنت أيضا قد صنعت الرحمة مع من يطلبها منك، وإذ تقول: «إغفر لي» تغفر وأنت البائس للآخرين، وحين تقول: «لا تذكر تعدياتي»، لا تذكر أنت فيما بعد زلات قريبك، وحين تقول «لا تذكر الشرور التي فعلتها بإرادتي أو كارها»، لا تعود تذكر أنت أيضا أية مشاجرة، إذ ينبغي عليك ألا تفكر في أي شيء ضد أي إنسان. فإن كنت لم تصل بعد الى أن تصنع هكذا، فأنت تصلي باطلا، لأن الله بمقتضى جميع الأقوال الإلهية لن يسمع لك قولك: «إغفر لي»! وقد قال الرب أيضا في الصلاة حسبما جاء في إنجيل القديس متى: «اغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضا للمذنبين إلينا»، وبحسب القديس لوقا: «إذا غفرت للناس زلاتهم، يغفر لكم أيضا أبوك السماوي».

فهذه هي المحبة كلها قد أظهرتها لك: ما تريد أن يكون لك من قبل الله إصنعه أنت أولا وحينئذ تحظى بالعفو بحسب القياس الذي نجحت في بلوغه في تعاملك مع الناس. فإن كنت تعمل على تنقية قلبك من جهة كل الخليقة حتى لا يكون فيه أي حقد مقابل أي أحد، فيجب عليك ألا تقتصر الأمر على كلام اللسان فقط، لأن الله حق. يستطيع كل انسان أن يربط نفسه بنفسه الى جهنم، أو يفك نفسه بنفسه منها، لأن ليس شيء أكثر صلابة من قوة الإرادة حين تتجح نحو الموت أو الحياة، فطوباهم أذا الذين يحبون الحياة الأبدية لأنهم لن يعثروا.

هناك صراع قلبي خفي، بالتعب والمشقة مقابل الفكر الذي يضغط لكي تصد سهمه كيلا يجرح قلبك ويصير من الصعب عليك أن تداويه. إذ لم تدقق في أن تضع كل يوم خطاياك أمامك. فإذا أدركت أن شخصا ما تسبب

^١ يوحنا السيناوي، السلم إلى الله، إعداد الأنبا مكاري، مكتبة دير السريان. ص ١٦١.

في معاناتك من آية أذية، لاحظ إرادتك الصالحة أن لا تكافئه في قلبك، بأن تلومه أو تدينه أو تغتابه أو تسلمه لأفواه الآخرين، وبعدئذ تفكر هكذا: إنه لم تصبني أية أذية. فإن كانت فيك مخافة جهنم، فهي تتغلب على الأرواح الذين يريدون منك أن ترد الإساءة للقريب، فقل لنفسك: «يا شقي هوذا أنت تصلي من أجل خطاياك والله يحتملها حتى الآن دون أن يظهرها»، بينما تثور أنت على قريبك وتطرحه لألسنة الناس، من البين إذاً أن خطاياك مازالت قائمة وأنت لم تحظ بعد بأي غفران. فإذا تحنن قلبك على قريبك، وحفظت نفسك من الأفكار الشريرة، تحظى حينئذ بالرحمة من الله، أما اذا تقسى قلبك عليه، فلن يذكرك الله.²

القديس يوحنا الدرجي يقول الآتي عن المغفرة وعدم حمل ضغينة:

البعض لكي ينالوا الصفح عنهم، أسلموا ذواتهم للأتعاب والأعراق. لكن الإنسان الذي ينسى الأخطاء قد تفوق عليهم، إذ قيل «اصفحوا سريعاً، فيُصفح عنكم صفحاً وافراً جليلاً». نسيان الإساءات، دليل على التوبة الخالصة. لكن من يُبقي عليها ويظن أنه يتوب، فهو شبيه بمن يعدو في نومه.³

هنا نلاحظ انه يربط الغفران ونسيان الإساءات التي حصلت لنا بتوبتنا. لكن ما هو الرابط؟ عندما يركز الإنسان على خطاياه، لن يكون له لحظة ابدأ ليتذكر فيها خطايا الآخرين. في هذا القديس باسيليوس يقول لنا: «كن منتبهاً لنفسك فقط، لتتعرّف على قوة ومرض نفسك». ⁴ ويقول أيضاً: «لا تقضي وقتاً في أفكار متمعن في الضعف الذي للآخر، بل كن منتبهاً لنفسك أي حَوْل عين نفسك لتستعلم عما هو لك». ⁵ إن أطعنا كلام القديس باسيليوس، عندئذ سنفهم كلام القديس يوحنا، لأنه كيف يمكنني ان اتوب وافكاري تخوض في خطايا قريبي؟ وكيف سيغفر لي الله خطاياي، إن أنا لا أستطيع أن اغفر خطايا اخوتي؟

القديس يوحنا يقول لنا أيضاً عن مدى فضاة خطيئة حمل ضغينة لاي أحد، قائلاً: «الحقد (أو تذكر الشر) هو اكتمال الغضب، حافظ الخطايا، مقت البر، هلاك الفضائل، سم النفس، دودة العقل، استخزاء الصلاة، نُصُوب التوسل، إبعاد الحب؛ إنه مسمار مغروز في النفس، إحساس خال من لذة، محبوب بلذة المرارة؛ خطيئة متواصلة. هو إثم لا ينام، وغيظ في كل ساعة. هذا الداء المظلم الكريه، أعني الحقد، هو من الأدواء المولودة، لكن ليس له ولد. لذلك لسنا نشاء أن نتكلم فيه أقوالاً كثيرة». ⁶

لكثيرون منا نفس السؤال الذي كان للقديس بطرس الرسول عندما قال لربنا يسوع المسيح: «يَا رَبُّ، كَمْ مَرَّةً يُخْطِئُ إِلَيَّ أَخِي وَأَنَا أَغْفِرُ لَهُ؟ هَلْ إِلَى سَبْعِ مَرَّاتٍ؟» قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «لَا أَقُولُ لَكَ إِلَى سَبْعِ مَرَّاتٍ، بَلْ إِلَى سَبْعِينَ مَرَّةً سَبْعَ مَرَّاتٍ.» (متى ١٨: ٢١-٢٢) فمن الواضح من هذا الكلام ان ربنا في الأساس يقول انه لا يجب ان يكون هناك أي حد لمغفرتنا. في صلواتنا على مدار اليوم، سواء الشخصية او الليتورجية، نطلب من الله ان يرحمنا ويغفر لنا ما يُقَرَّب من الالف مرة، فكيف أقول هذه الكلمات بصدق إن كنت انا لا اريد ان اغفر لإخوتي؟ كيف نطلب الرحمة بينما نحن لا نريد ان نكون رحماء؟ كيف نكون انقياء في صلواتنا بينما نحن نحمل ضغينة؟ كيف لا نخاف من كلام ربنا ان خطايانا سوف لن تغفر لنا إن لم نغفر نحن للآخرين؟ كيف لا أخاف انه سوف ادان عن كل خطاياي لأنني ارفض ان اغفر للآخرين؟ كيف يمكن لأحد ان لا يرتعد من هذا الفكر؟ كيف يمكن لأحد ان لا يغفر على الفور لكل أحد بمجرد التفكير بالدينونة الأبدية؟ حقاً كما قال القديس انطونيوس الكبير: «إن حياة الإنسان وموته هي متعلقة بقريبه»! ⁷

ليغفر الله «لَنَا خَطَايَانَا لِأَنَّا نَحْنُ أَيْضًا نَغْفِرُ لِكُلِّ مَنْ يُذْنِبُ إِلَيْنَا». ⁸ آمين.

² ميامر وأقوال الأنبا أشعيا الإسقيطي. اصدار أبناء البابا كيرلس السادس. ص ١٢٦-١٢٨.

³ يوحنا السيناوي، السلم إلى الله، إعداد الأنبا مكاري، مكتبة دير السريان. ص ١٦١.

⁴ On the Human Condition, ed. J. Behr and A. Casiday, trans. N.V. Harrison, (Crestwood, NY: SVS Press, 2005), 97.

⁵ Ibid., 100.

⁶ يوحنا السيناوي، السلم إلى الله، إعداد الأنبا مكاري، مكتبة دير السريان. ص ١٥٩.

⁷ بستان الرهبان الموسع، ج ١، ص ٧١.

⁸ لوقا ١١: ٤.